



تونس.. الشعب يريد

12 ثورات الربيع

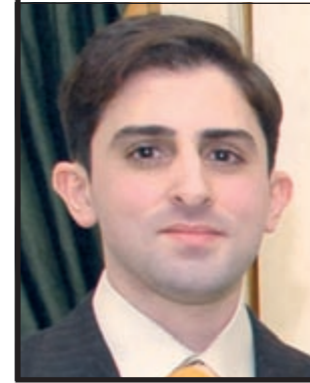
من صراع القوميات الذي تصاعد إلى حربين عالميتين، إلى صراع الأيديولوجيا الذي أدخل العالم في حرب باردة بين «الجبارين»، وصولاً إلى ما يسمى بعصر القطب الواحد والعولمة، شهد العالم ثورات وانتفاضات شعبية لن تُنسَى لاسيما تلك التي اتسمت بالطابع السلمي.

بعد انتصارها في الحرب الباردة واجهت الولايات المتحدة عمليات استهداف معادية من جماعات إسلامية سبق أن دعمتها أميركا في حربها الضروس ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان. وصلت حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان عام 1994، ووفرت ملاذاً آمناً لتنظيم «القاعدة» الذي أسسه أسامة بن لادن بين عامي 1988 و1989 أعلن حربه رسمياً على الولايات المتحدة، وأولى عملياته البارزة كانت محاولة تفجير برج التجارة العالمي في 1993، ثم استهداف السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا عام 1998، قبل أن ينفذ هجمات 11 سبتمبر التي كرسست عملياً نظرية كان قد أطلقها استاذ العلوم السياسية صامويل هنتنجتون عام 1993 عن «صراع الحضارات» اعتبر فيها أنه بعد الحرب الباردة ستكون المواجهة الأعنف على أساس الحضارة، مستعرضاً عدداً من المواجهات المحتملة للحضارة الغربية مع الإسلام والحضارتين الصينية والاندوكية (الهندية). مسار الأحداث والصراع بين «القاعدة» والغرب أعطى النظرية زخماً منقطع النظير ودارت نقاشات مطولة، غالباً ما كانت تنتهي إلى أن المجتمعات الإسلامية ممانعة بحضارتها وموروثاتها للديموقراطية، مستشهدين بالثورة الإيرانية التي لم تقض إلى ديموقراطية بمفهومها الغربي رغم سلميتها، واستبعد كثير من الخبراء وبينهم هنتنجتون أن يشهد العالم العربي ثورات شبيهة بتلك الثورات التي حررت دول أوروبا الشرقية قبل وبعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي.

رحل هنتنجتون عام 2008 قبل 3 سنوات من أحداث اجتاحت فجأة العالم العربي فيها الكثير من سمات الحركات التحررية والديموقراطية السلمية التي سبق ان شهدها الغرب بدءاً من أحداث 1968 في فرنسا إلى ربيع براغ ثم سقوط الجدار، كما لم يشهد قبل وفاته أحداث النرويج في 22 يوليو 2011 والتي تؤكد أن اليمين المسيحي ليس بأقل تطرفاً من اليمين الإسلامي. ارجاء كثيرة من العالم العربي المسلم بغالبية شهدت خروج ملايين الشباب إلى الشوارع بحماس منقطع النظير، بدأ في تونس وامتد إلى دول أخرى تحت شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» مستفيدين من ثورة التكنولوجيا القادمة من الغرب والإعلام الجديد الذي قدمته شبكة الإنترنت.

قوبلت الثورات بترحيب غربي وبذلت الدول الغربية وسفاراتها جهوداً كبيرة على غرار تلك التي بذلتها في نهاية الثمانينيات في أوروبا الشرقية. وحاولت مساعدة الثوار في أكثر من حالة كان أوضحها ليبيا على تشكيل سلطة مؤقتة بديلة تتولى المرحلة الانتقالية خلال وبعد سقوط النظام. بمناسبة ما أطلق عليه «الربيع العربي» نستعيد بالذاكرة بعض الثورات المشابهة في أوروبا والعالم خلال العقود الماضية منها الثورة المخملية في تشيكوسلوفاكيا والثورة الوردية في جورجيا والبرتغالية في أوكرانيا وثورة التوليب في قيرغيزيا وثورة البلدوزر في صربيا وثورة الغناء في دول البلطيق، إضافة إلى بعض تجارب القرن الماضي في مجال النضال السلمي للحركات التحررية وصولاً إلى الثورات العربية.

● بقلم: محمد الحسيني



بن علي فر

في نهاية احتجاجات

العالم على الهواء

مباشرة



رغم التسميات الكثيرة التي أعطيت لكل من ثورات تونس ومصر وغيرها من الحركات الاحتجاجية في العالم العربي لتصنيفها ضمن «ثورات الألوان» فضل العرب استخدام التواريخ للدلالة على ثوراتهم وهو أمر ليس بغريب على الثقافة العربية.

في تونس جرى اعتماد تاريخ 14 بانفقيه (يناير) وهو يوم فرار الرئيس التونسي المخلوع زين العابدين بن علي الرئيس الثاني لتونس بعد الاستقلال عن فرنسا عام 1956 وقد تابع العالم الثورة التونسية على الهواء مباشرة عبر الفضائيات ولعبت وسائل الاتصال الحديثة دوراً محورياً فيها.

تولى بن علي الرئاسة منذ 1987 عندما خلف الرئيس الحبيب بورقيبة اثر انقلاب نفذه ضده بحجة عجزه عقلياً وصحياً بناء على تقرير من الأطباء في حركة 7 نوفمبر 1987 ورغم وجود تعديل دستوري يعود إلى 1974 نص على تولي بورقيبة الرئاسة مدى الحياة.

وبن علي رجل استخبارات وعسكري سابق، تدرج في مناصب عديدة، فكان ملحفاً عسكرياً في المغرب ثم سفيراً في بولندا ووزير دولة ثم تسلم مقاليد وزارة الداخلية في 1986 ووزيراً أول في أكتوبر 1987 ليستولي بعدها على الرئاسة التي بدأ متمسكا بدوره بها مدى الحياة رغم كلماته في خطابه الأخير قبل الفرار والذي ردد فيه: لا رئاسة مدى الحياة.. لا رئاسة مدى الحياة!

قبل فراره مع زوجته ليلي الطرابلسي السيدة القوية والنافذة هي وأسرتها سياسياً واقتصادياً حاول بن علي إقناع الجيش بالمشاركة في مواجهة الانتفاضة الشعبية إلا أن المؤسسة العسكرية قررت البقاء على الحياد.

اليوم ومع اقتراب الذكرى الأولى للثورة لم تتضح الصورة النهائية لنتائجها بعد بينما تجبر تونس مرحلة انتقالية باتجاه مجتمع ديموقراطي حقيقي يتطلع التونسيون لأن يؤمن لهم الحرية والمعالجة لمشاكلهم الاقتصادية التي كانت الأساس في اندلاع الثورة. في يوم 17 ديسمبر 2010 أضرم المواطن محمد البوعزيزي وهو من حاملي الشهادات العاطلين عن العمل النار في نفسه احتجاجاً على مصادرة السلطات البلدية في مدينة سبدي بوزيد لعربة فاكية كان يكسب منها قوته ورفضها قبول شكواه ضد شرطية قامت بصفعه. واعتباراً من اليوم التالي 18 ديسمبر انطلقت أحداث الثورة، فعلى مدى أيام الأسبوع الثاني للحادثة شهدت «سبدي بوزيد» اتساعاً لرقعة الاحتجاجات تفاعلاً مع مأساة الشاب وخرجت في مدن الولاية المختلفة تظاهرات حاشدة تطالب بالحرية وتوفير فرص العمل وتعرضت إحدى هذه المظاهرات في مدينة منزل بوزيان يوم 24 ديسمبر إلى إطلاق نار حي من رجال الأمن ما أدى إلى قتل الشاب محمد العمري وهو أيضاً من حملة الشهادات العليا

العاطلين عن العمل فزاد الغضب الشعبي، ووصل إلى تونس العاصمة اعتباراً من 25 ديسمبر حيث بدأت سلسلة وقفات احتجاجية ومواقف تفاعلية مع المحتجين.

أول رد رسمي لبني علي كان في 28 ديسمبر حيث ألقى خطاباً مستفزاً دان فيه ما وصفه بـ «أعمال الشعب» التي تضر بصورة البلاد وتعد بتطبيق القانون، وأعقب خطابه بتعديل وزاري محدود.

في 5 يناير توفي البوعزيزي في وقت كانت فيه قوات الأمن تخوض مواجهات يومية بمواجهة الاحتجاجات وبدأ المحتجون باستهداف الدوائر الحكومية الأمنية وردت قسوات الأمن بحملة اعتقالات لنشطاء، بدأ عدد الضحايا يزداد، ففي 8 يناير سقط 8 قتلى في تالة والقصرين.

في 10 يناير أطل بن علي في خطاب جديد لتهنئة المجتمعين في خطاب هادئ للهجة تعهد فيه بخلق 300 ألف فرصة عمل لكنه لم يلق الصدى المطلوب، وتواصلت التظاهرات بوتيرة أعلى واستمر معها سقوط القتلى الذين بلغ عددهم حتى يوم 15 يناير (اليوم التالي لفرار الرئيس) 219 شخصاً.

في 12 يناير وفي محاولة جديدة لتهنئة الشارع أقال بن علي وزير الداخلية وعين وزير داخلية جديداً حاول فرض منع تجول في المدن الكبرى لكنه لم ينجح.

في 14 يناير أعلن بن علي حالة الطوارئ وأقاله الحكومة والدعوة لانتخابات مبكرة، ثم مع اقتراب المساء أعلن أنه غادر وعائلته إلى جهة غير معلومة قبل أنها مالطا ثم فرنسا، ولكن تبين لاحقاً أنه لجأ إلى جدة في المملكة العربية السعودية.

إثر فرار الرئيس أعلن الوزير الأول محمد الغنوشي توليه الرئاسة مؤقتاً وفق المادة 56 من الدستور التي تنص على أنه «لرئيس الجمهورية إذا تعذر عليه القيام بمهامه بصفة وقتية أن يفوض بأمر سلطاته إلى الوزير الأول ماعدا حق حل مجلس النواب. وائفاء مدة هذا التعذر الوقي الحاصل لرئيس الجمهورية تبقى الحكومة قائمة إلى أن يزول هذا التعذر ولو تعرضت الحكومة إلى لأتحة لوم. ويعلم رئيس الجمهورية رئيس مجلس النواب ورئيس مجلس المستشارين بتفويضه المؤقت لسلطاته.»

لكن المجلس الدستوري أعلن في اليوم التالي انه بعد الاطلاع على الوثائق لم يكن هناك تفويض واضح من الرئيس الفار إلى الوزير الأول وان الرئيس لم يستقل بل هرب في ظروف غامضة، وبعد إعلانه حالة الطوارئ كما أن هروبه يعني عجزه عن الاستمرار بالحكم، ولذلك تم اللجوء إلى المادة 57 من الدستور التي تنص على أنه «عند شغور منصب رئيس الجمهورية لوفاة او لاستقالة او لعجز تام، يجتمع المجلس الدستوري فوراً ويقر الشغور النهائي بالأغلبية المطلقة

لأعضائه، ويبلغ تصريحاً في ذلك إلى رئيس مجلس المستشارين ورئيس مجلس النواب الذي يتولى فوراً مهام رئاسة الدولة بصفة مؤقتة لأجل أدناه خمسة وأربعون يوماً وأقصاه ستون يوماً... الخ».

بعد هذا التاريخ شكل محمد الغنوشي حكومتين متعهداً بمحاسبة المسؤولين عن «سقوط الشهداء» في الثورة ومحاربة الفساد وملاحقته من اثروا على حساب الشعب والتأسيس لحياة سياسية جديدة على أسس الحرية والديموقراطية لكنه اضطر إلى الاستقالة في 27 فبراير وتم تكليف الباجي قائد السبسي بقيادة الحكومة الانتقالية.

أهمت ثورة تونس احتجاجات شعبية شبيهة بما شهدته من أحداث أبرزها في مصر التي شهدت أيضاً سقوطاً مدوياً لنظامها في ظل حياض الجيش بينما صعدت أنظمة دول عربية أخرى تدخل فيها الجيش إلى جانب النظام.

رفع التونسيون شعار «الشعب يريد»، الذي استخدم في كل الثورات والاحتجاجات اللاحقة كل حسب حاجته «إسقاط الرئيس... إسقاط الحكومة... تغيير الحكومة».

ونظراً لكونها شكلت شرارة البداية، كتسب الثورة التونسية أهمية كبيرة بين ثورات الربيع العربي وقد حجزت مكاناً مهماً لها في كتب التاريخ رغم أن فصولها لم تكتمل بعد، في ظل انتظار نتيجة الانتخابات التشريعية في 23 أكتوبر 2011 والتي قال رئيس الوزراء السبسي أنها ستقام بموعداها.



.. النهاية



مواجهات مع قوات الأمن



قوات الأمن فشلت في لحجم الثوار



الحرية.. شعار الثوار



ليلى الطرابلسي



محمد البوعزيزي



.. صورة البوعزيزي بعد اضرام النار بنفسه